مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد الحادي عشر ـ العدد الأول

المحرم ـ ربيع الأول ١٤٣٠هـ
(يناير ـ مارس ٢٠٠٩م)

- مفهوم دلالة اللفظ عند ابن قتيبة
- تعالُ وهاتِ بين الاسميّة والفعليّة
- ميلاد اللسانيات النفسية العصبية ومرض الحبسة اللغوي
- الانحراف في لغة الشعر وعلاقته بالسياق المقامي
- لِمَ الدراسة اللسانية الإحصائية للنص؟
- النبر التمييزي في اللغة العربية
- كشاف المجلد العاشر ـ السنة العاشرة

مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي

هيئة التحرير
صالح بن حسين العايد
صالح بن سليمان العمير
عبدالرحمن بن محمد العمار

مدير التحرير
سيف بن عبدالرحمن العريفي

عنوان المراسلة
مجلة الدراسات اللغوية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية
ناسوخ ٤٦٥٩٩٩٣

Journal of Linguistic Studies
P.O. Box 51049 Riyadh 11543
Saudi Arabia
Fax: 4659993

ردمد: ١٣١٩-٨٥١٣
الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المحتويات

• مفهوم دلالة اللفظ عند ابن قتيبة
محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي ٥

• تعالَ وهاتِ بين الاسميّة والفعليّة
حصّة بنت زيد بن مبارك الرشود ٥٧

• ميلاد اللسانيات النفسية العصبية
الجمعي بولعراس ٩١

• الانحراف في لغة الشعر وعلاقته بالسياق المقامي
طارق مختار المليجي ١٢١

• لِمَ الدراسة اللسانية الإحصائية للنص؟
خالد محمود جمعة ١٨٣

• النبر التمييزي في اللغة العربية
ف. عبد الرحيم ٢١٩

• كشاف المجلد العاشر ـ السنة العاشرة
مصباح محمد مصباح ٢٢٥

الهيئة الاستشارية للتحرير:

⋆ إبـراهـيم بن سـلـيـمـان الـشـمـسـان	أستاذ النحو جامعة الملك سعود.
⋆ أمـــين عـــبـــدالـــلـــه ســـالم	أستاذ النحو كلية اللغة العربية المنوفية.
⋆ حـــســن شـــاذلي فـــرهـــود	أستاذ النحو سابقاً في جامعة الملك سعود.
⋆ ســلـيـمــان بن إبـراهـيـم الـعـايـد	أستاذ علم اللغة جامعة أم القرى.
⋆ عـبـــد الـعـــلي الـــودغـيـــري	أستاذ اللغويات جامعة محمد الخامس.
⋆ عـــــلي أبـــــو المـــــكـــــارم	عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقاً.
⋆ عـيـــاد بن عـيـــد الـثـبـيـتي	أستاذ النحو جامعة أم القرى.
⋆ مـــحـــمـــد بـن حـــسن بـــاكلا	أستاذ علم اللغة جامعة الملك سعود.
⋆ محـمـد بن يـعـقـوب تـركـسـتـاني	أستاذ علم اللغة الجامعة الإسلامية.

ضوابـط النشـر:

١ـ أن يـكون البحث ضـمن اختصاصات المجلة، وهي: الـدراسات النحـوية والتصـريفية والـلغوية والـلسانية والعروضية.

٢ـ ألا يزيد البحث على ثمانين صفحة.

٣ـ ألا يكون البحث منشوراً، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.

٤ـ أن يكون البحث مطبوعاً على ورق (A4).

٥ـ دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.

٦ـ أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.

٧ـ أن يكون البحث باللغة العربية.

٨ـ أن يكون البحث متسماً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.

٩ـ أن يقدم الباحث من بحثه ثلاث نسخ وملخصاً له.

١٠ـ لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت أم لم تقبل.

تخضع البحوث التي تقدم إلى المجلة للفحص العلمي من قِبل متخصصين ترشحهم هيئة التحرير

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

أولاً : البحوث والدراسات

مفهوم دلالة اللفظ عند ابن قتيبة

«دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث»

محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي

أستاذ اللغويات المشارك بمعهد اللغة العربية

جامعة أم القرى

يشتمل هذا البحث على دراسة وصفية تحليلية لدلالة اللفظ عند ابن قتيبة تناولت فيه أهم الجوانب في مفهوم الدلالة؛ كأنواعها، ومظاهر تطورها، وأنواع العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وبيان أثر آراء ابن قتيبة، فيمن جاء بعده من القدماء، ومقارنة تلك الآراء بما تمخضت عنه الدراسات اللغويّة الحديثة. وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: أنواع الدلالة، وقد تم من خلاله بيان أنواع الدلالة عند ابن قتيبة، في ضوء أنواعها عند المحدثين، وبيان أثر ذلك فيمن جاء بعده من القدماء.

المبحث الثاني: ويشمل مظاهر التطور الدلاليّ عند ابن قتيبة، ومقارنة ذلك بما تمخضت عنه دراسات اللغويين المحدثين.

المبحث الثالث: العلاقات الدلالية بين الألفاظ: وفيه دراسة لظاهرة التعدد (المشترك والترادف والأضداد) عند ابن قتيبة، وذلك في ضوء ما توصلت له الدراسات اللغوية الحديثة.

التمهيد (ترجمة مختصرة عن ابن قتيبة)

هو أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة المروزي الدينوريّ، ويقال له: القتيبي نسبة إلى جده قتيبة، وهو من أسرة فارسية كانت تقطن مدينة مرو، ولذا نسب إليها فقيل المروزي، ولد سنة ٢١٣هـ بالكوفة، وقيل ببغداد، وتوفي سنة٢٧٦هـ وقيل سنة ٢٧٠، ٢٧١هـ[١].

اتّهمه بعض المتقدمين في عقيدته بالكراميّة، وأنه كان مُشَبِّها[١]، كما اتّهم

(١) ينظر: أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي اللغوي مراتب النحويين، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢، ١٣٩٤-١٩٧٤م) ٢١، ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة، دار التراث، ط٣، ١٩٧٣م) ٢ فما بعدها.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (القاهرة، دار الفكر، ط٢- ١٣٩٩هـ) ٢/ ٦٣

في علمه بالغفلة والغباوة وقلة المعرفة[١]، ولكنّه بُرِّئ من ذلك كلّه، ووصف بأنه ثقة ديّناً، وعدّ لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة، وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة، والنحو وغريب القرآن ومعانيه، وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه[٢].

له تصانيف كثيرة مفيدة، بلغت عدتها ـ عند بعضهم ـ خمسة وستين مصنفاً، من أشهرها: تأويل مشكل القرآن، وتفسير غريب القرآن، ومختلف الحديث، وغريب الحديث، وأدب الكاتب، وجامع النحو، وخلق الإنسان، وإصلاح غلط أبي عبيد، والمسائل والأجوبة، والشعر والشعراء، وغيرها[٣]. وقد تتلمذ لطائفة من أعلام عصره، وروى عن جمع من مشاهير دهره[٤]، كما تتلمذ على يده عدد كبير من العلماء، الذين قرأوا عليه كتبه كلها أو بعضها، حيث كان كريماً بعلمه، سمحاً في إقراء كتبه[٥].

كما حظي في العصر الحديث باهتمام بالغ من العلماء والباحثين كان أبرزه تحقيق تراثه على يد علماء أجلاء، على رأسهم العالم الفاضل السيد أحمد صقر الذي أُعْجِب به أيّما إعجاب، ووصفه بأنه خليق بالإعجاب، وجدير بالإعظام؛ لأنه أخلص نفسه، وفكره، وعقله لدينه ولغته، وقضى حياته مجاهداً في سبيل إعزازهما، ودرء شبه أعداء الدين والعربية والعروبة بما ألّف من كتب ودرّس من دروس[٦].

(١) الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق عبد الحليم النجار ومراجعة محمد علي النجار (الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب) ٣١/١

(٢) ينظر: النديم محمد بن إسحاق النديم ، الفهرست (بيروت ، دار المعرفة) ١١٥، ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ٥٥ فما بعدها (المحقق).

(٣) ينظر: السيوطي، بغية الوعاة ٦٣/٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٧ (المحقق).

(٤) لمعرفة شيوخه، ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٣ فما بعدها (المحقق).

(٥) لمعرفة تلاميذه، ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٣٥–٣٨ (المحقق).

(٦) ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١ فما بعدها (المحقق).

كما حظي بنصيب وافرمن الدراسات المعاصرة في النقد والأدب والبلاغة واللغة والعقيدة[١]: منها: ابن قتيبة ونقد الشعر لمحمد بن مريسي الحارثي، وابن قتيبة الأديب لعبد الحميد الجندي، والبحث البلاغي عند ابن قتيبة لمحمد علي الصامل، وابن قتيبة الدينوريّ تصحيحه اللغوي لسهى فتحي، وتوظيف ابن قتيبة اللغة للدفاع عن القرآن ليوسف صامل السلميّ، وعقيدة الإمام ابن قتيبة لعلي نفيع العلياني.

المبحث الأول: أنواع الدلالة

لقد سحرت العربية ابن قتيبة، وتكشفت له عن خصائص، جعلتها من أفضل اللغات، وجعلت أهلها من أفضل الأمم؛ وذلك لما خصّ الله به العرب والعربية دون الأمم وجميع اللغات من إقامة الحجة وإثبات معجزة الرسول ﷺ إذ يقول: «وإنما يعرف فضل القرآن من كَثُر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصِّيصى من الله،لما أرهصه في الرسول ﷺ وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعله عَلَمَه،كما جعل عَلَم كلّ نبيّ من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه...»[٢].

وقد لخص ابن قتيبة هذه الخصائص فيما يلي[٣]:

١- شمول الألفاظ: فألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً، وهي أقصى طوق اللسان، وألفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين، ولست واجداً في شيء من كلامهم حرفاً إلا معدولاً عن مخرجه شيئاً.

(١) ينظر: السلميّ، يوسف صامل، توظيف ابن قتيبة اللغة للدفاع عن القرآن (رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة ، مكة المكرمة، جامعة أم القرى ١٤٢٤هـ) المقدمة ٤.

(٢) ابن قتيبة ،تأويل مشكل القرآن ١٢

(٣) ينظر: ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٤ فما بعدها

٢–الإعراب: وقد جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا بين المعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكلّ واحد منهما، ولو أن قائلا قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال الآخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة– لدلّ التنوين على أنّه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنّه قد قتله.

٣– التفريق بن المعاني بحركة أو حرف؛ كقولهم: رجل لُعْنة إذا كان يلعنه الناس، فإذا كان هو الذي يلعن الناس قالوا: رجل لُعَنَة، وكقولهم: للقبض بأطراف الأصابع (قبص) وبالكف: (قبض).

٤– الاشتقاق، كاشتقاقهم من البطن للخميص (مُبَطَّن) وللعظيم البطن إذا كان خِلْقة (بَطين) فإذا كان من كثرة الأكل قيل (مِبْطان) وللمنهوم (بَطِن) وللعليل البطن (مبطون).

٥– الشِّعر: الذي أقامه الله للعرب مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا، ولآدابها حافظا، ولأنسابها مقيِّدا، ولأخبارها ديوانا. .وحرسه بالوزن، والقوافي،وحسن النظم، وجودة التحبير – من التدليس والتغيير.

٦– المجازات في الكلام، وهي طرق القول، ومآخذه: كالاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير ونحوها.

ويمكن القول أن سحر العربية لم يقف بابن قتيبة عند حدّ تفضيلها على سائر اللغات، وتفضيل أهلها على سائر الأمم، بل إنّ العربية تكشفت له عن أسرار، تعدّ في ـ نظرنا ـ إرهاصات لما توصلت إليه الدراسات الحديثة، ولمن جاء بعده من القدماء . فقد أدرك ابن قتيبة ـ بحسه اللغويّ المرهف ـ ما أسماه المحدثون بأنواع الدلالة[١]، وفيما يلي بيان ذلك:

(١) ينظر: أنيس، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ (مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦م). ٤٦، فما بعدها . مجاهد، عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب (الأردن ،عمان ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، مطبعة النور النموذجية) ١٩٤فما بعدها.

١- الدلالة الصوتية:

وهي الدلالة المستمدة من بعض خصائص الأصوات. وقد عقد ابن قتيبة لذلك بابا أسماه: (الأسماء المتقاربة في اللفظ والمعنى)، ضمّنه العديد من الألفاظ التي فرق بين معناها بحرف، حتى كان تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين(١)، كقوله: (النَّضْخ) أكثر من (النَّضْح)، و(الْحَزْمُ) من الأرض: أرْفَعُ من (الْحَزْنِ)، و(القَبْضُ) بجميع الكف (والقَبْص) بأطراف الأصابع، و(الْخَضْمُ) بالفم كله (والقَضْمُ) بأطراف الأسنان، و(الرِّجْز) العذاب (والرِّجْسُ) النّتْنُ، و(الهُلاَس) في البَدَن (والسُّلاس) في العقل، و(النَّارُ الخامِدَة) التي قد سكن لَهَبُهَا ولم يُطْفَأْ جَمْرُها و(الهَامِدَة) التي طَفِئَتْ وذهبت أَلْبَتّة(٢).

وقد عرض ابن جني لهذا النوع من الدلالة، وربط المعنى بصوت الحرف، وعدّ ذلك بابا عظيما؛ إذ يقول: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها فباب عظيم .. وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها..وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف مانستشعره. من ذلك قولهم: خضم وقضم. فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما والقضم للصّلب اليابس، نحو: قضمت الدّابة شعيرها ونحو ذلك..»(٣) ثم علل ابن جني ذلك بقوله: فاختاروا الخاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»(٤).

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٦

(٢) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٢٠٠ فما بعدها بتصرف. وينظر: تأويل مشكل القرآن ١٦

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان) ١٥٧/٢

(٤) ابن جني، الخصائص١٥٨/٢

٢- الدلالة الصرفيّة:

وهي الدلالة المستمدة من بنية الكلمة، وقد عقد ابن قتيبة لهذا النوع من الدلالة بابا أسماه: بابُ اختلاف الأبْنية في الحرف الواحد لاختلاف المَعَاني قال فيه: «قالوا: (رَجُلٌ مُبَطَّنٌ) إذا كان خَميصَ الْبَطْن (وبَطِينٌ عظيم البطن في صحة، و(مَبْطُونٌ) إذا كان عليل البطن (وبَطِنٌ) إذا كان منهوماً نَهِما، و(مِبْطَانٌ) إذا ضَخُم بَطْنُه من كثرة ما يأكُل، ورجل (مُظَهَّرٌ) إذا كان شَديدَ الظَّهْرِ و(رَجُلٌ ظَهِرٌ) إذا اشتكى ظَهْره مَثْلُ (فَقِر) إذا اشتكى فَقَاره، و(رَجُلٌ مُصَدَّرٌ) شديد الصَّدْر (ومَصْدُور) يَشْتَكي صَدْرَهُ.»(١).

وهذا النوع من الدلالة يقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية، وأبنيتها من معان، وهو ما عرف عند ابن جنيّ (ت٣٩٥هـ) باسم الدلالة الصناعية، والتي جعل منزلتها في القوة بعد الدلالة اللفظية، وقبل الدلالة المعنوية؛ إذ يقول: «باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية: اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدّ مراعى مؤثر؛ إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم الصناعية، ثم تليها المعنوية... ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله...»(٢).

ونستطيع القول: بأنّ القيم الصرفيّة التي أدركها ابن قتيبة، هي ما يسمى في الدراسات الحديثة بالمورفيم الاشتقاقي وهو مورفيم نشتق به كلمة جديدة من كلمة أخرى(٣). فجميع ما ذكره ابن قتيبة ـ تحت هذا الباب ـ برجع الفرق فيه بين المعاني إلى اختلاف الصيغ الصرفية، وهو ما حاول ابن جني تفسيره بقوله: «ومن ذلك قولهم للسلم: مِرقاة، وللدرجة مَرقاة، فاللفظ نفسه يدل على الحدث الذي

(١) ابن قتيبة، أدب الكاتب ٣٢٦

(٢) ابن جني، الخصائص ٣/ ٩٨

(٣) لمعرفة أنواع المورفيم، ينظر: الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة (الأردن، دار الفلاح، ط١) ٧١.

هو الرقيّ لكن كسر الميم يدل على أنها مما ينفل ويعتمل عليه وبه، كالمطرقة والمئزر والمنجل، أما فتح الميم فيدل على أنه مستقر في موضعه، كالمنارة والمثابة...»[١].

٣- الدلالة النحويّة:

وهي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا معينا في الجملة حسب قوانين اللغة[٢]. وهذا النوع من الدلالة، هو ما عبر عنه ابن قتيبة بالإعراب[٣]، الذي جعله الله وشيا لكلام العرب، وحلية لنظامها وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل، والمفعول لا يفرق بينهما، إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكلّ واحد منهما إلا الإعراب . ولو أن قائلا قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة- لدلّ التنوين على انه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله.

وإذا كانت الدراسات اللغوية الحديثة، ترى أنّ معنى الجملة يتضح ويفهم من خلال العلاقات فيها[٤]، فإنّ ابن قتيبة ـ كغيره من القدماء ـ قد أدرك هذه الحقيقة اللغويّة، فهذا ابن جني (ت٣٩٥هـ) ينصّ على أهمية العلامة الأعرابية في بيان المعنى النحويّ، إذ يقول: «ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الأخر، الفاعل من المفعول،ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه...»[٥].

أما المحدثون فإنّ الإعراب عندهم، واحد من أهم القرائن، التي تتظافر لتحديد

(١) ابن جني، الخصائص ٣/ ١٠٠١.

(٢) مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب ١٥٩

(٣) ينظر: ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٥

(٤) الراجحي عبده ، النحو العربي والدرس الحديث (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م) ١٤٢

(٥) ابن جني، الخصائص ١/ ٣٥

المعنى النحويّ، كما ذهب إلى ذلك تمام حسان[١]؛ بل إنّه عند عبد الفتاح البركاوي يعدّ الملمح الأساسي، والقرينة الوحيدة في الكشف عن المعنى النحويّ، وبيان الفاعل من المفعول، حين لا تُجدي في بيانه القرائن الأخرى، وذلك نحو قولنا: أكرم سعيد أباه[٢]. وذلك ما أدركه ابن قتيبة، وابن جنيّ، بل إنّ قول ابن قتيبة عن الإعراب بأنه: فارق في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل، والمفعول؛ ليدلّ على إدراكه، بأن ثمة قرائن أخرى يمكن التعويل عليها في تحديد المعنى النحويّ حين يغيب الإعراب .

٤– الدلالة المعجمية[٣]، أو معنى الإطلاق[٤]، أو المعنى الأساسي[٥]:

وهو ـ عند ابن قتيبة ـ المعنى الذي يدل عليه اللفظ في اللغة، يتضح ذلك من قوله: « الجنّ من الاجتنان، وهو الاستتار. يقال للدرع: جُنَّة؛ لأنها سترت. ويقال: أَجنَّه الليل؛ أي: جعله من سواده في جنَّة، وجنَّ عليه الليل . وإنما سمّوا جِنّا: لاستتارهم عن أبصار الإنس... »[٦].

وقوله: « الفسق في اللغة الخروج عن الشيء...قال الفراء: ومنه يقال فسقت الرُّطبة إذا خرجت من قشرها »[٧].

ونحو ذلك من الألفاظ، كالشرك، واللعن، والجحد، والكفر، والظلم، والنفاق[٨].

(١) تمام حسان ، اللغة معناها ومبناها (القاهرة ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة)٢٠٥

(٢) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، (القاهرة ، دار المنار ط١، ١٤١١هـ) ٢٥٣

(٣) ينظر: أنيس ، دلالة الألفاظ، ٦٢ ويسميه أيضا المعنى الاجتماعي.

(٤) ينظر: تمام ، مقالات في اللغة والأدب (مكة المكرمة ، جامعة ام القرى ،معهد اللغة العربية ، وحدة البحوث والمناهج ١٤٠٥ هـ) ٣٣٤

(٥) ينظر: احمد مختار عمر ، علم الدلالة (الكويت، مكتبة دار العروبة ط١ ،١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م)٣٦، ويسمّى: الأولي، والمركزي، والتصوري، والمفهومي، والادراكي.

(٦) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢١

(٧) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢٩

(٨) ينظر: ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ٢٦ فما بعده.

وهذا المعنى عنده هو الأصل وهو المتعارف عليه عند العرب يقول عن لفظ (المَسَد) : وأمّا المَسَد، فهو عند كثير من الناس : اللفيف دون غيره . وليس كذلك؛ إنما المسد : كلّ ما ضُفِر وفُتِل من الليف وغيره . . . ويدلك على أن المسد قد يكون من غير الليف، قول الرّاجز :

يا مَسَد الخوص تَعوّذ منّي إنْ تك لَدْنا ليِّنا فإنّي
ما شِئتَ مِنْ أشْمَطَ مُقْسَئنِّ

فجعله من خوص . . . »[1]

ومن ذلك قوله : في تفسيره آية : ﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ (البقرة٦٩) .

« وقد ذهب قوم إلى أن الصفراء : السوداء . وهذا غلط في نعوت البقر وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل . وقالوا بعير أصفر، أي : أسود؛ وذلك أن السود من الإبل يشوب سوادها صفره، قال الشاعر :

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب

أي : سود .

ومما يدلك على أنه أراد الصفرة بعينها قوله : « فاقع لونها » والعرب لا تقول : أسود فاقع ـ فيما أعلم ـ إنما تقول : أسود حالك، وأحمر قانٍ، وأصفر فاقع »[2] .

وهذا المعنى الأصلي ـ عند ابن قتيبة ـ هو المعوّل عليه في فهم المعاني الثانوية[3]، يقول في تأويله للفظ (فَواق)، في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ (صاد ١٥) .

(١) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٦١

(٢) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٥٣١ .

(٣) ينظر: مختار ، علم الدلالة٣٧ . منقور، عبد الجليل ، علم الدلالة : أصوله ومباحثه في التراث العربي ، (دمشق ، اتحاد الكتّاب العرب ٢٠٠١)٦٤ ويسمى: المعنى الإضافي ، والعرضي، والتضمني

« وأصل الفواق أن تُحلب الناقة ثمّ تُترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثمّ تُحلب، فما بين الحلبتين فَوَاق، فاستعير الفَواق في موضع الانتظار. »(١).

ويقول في تأويله للفظ (الذنوب) في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (الذاريات٥٩):

« وأصل الذنوب: الدّلو، وكانوا يستقون الماء، فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، فاستعير في موضع النصيب، قال الشاعر:

إنّا إذا نازَعَنا شَريبُ لنا ذَنوبٌ ولَهُ ذَنوب »(٢)

٥-الدلالة السياقية: أو المعنى المقصود(٣)

وهو ـ عند ابن قتيبة ـ المعنى الفرعي أو الوجوه التي يتصرف إليها اللفظ في الكلام،وتعود إلى أصل واحد، هو المعنى اللغويّ، كقوله: الظلم في اللغة وضع الشيء غير موضعه. ومنه ظلم السِّقاء وهو شربه قبل الإدراك؛ لأنه وضع الشرب غير موضعه. وظلم الجَزُور وهو نحره لغير علَّة ...ثمّ يتفرع من الظلم معان ذكرتها في كتاب (تأويل المشكل)(٤)، وقد وضح هذه المعاني بقوله في التأويل: « .. ثمّ يصير الظلم بمعنى الشرك.. النقصان.. الجحد... »(٥).

وقد عقد لهذا النوع من المعاني الفرعية على حدّ تعبيره بابا أسماه (باب اللفظ الواحد للمعاني المتعددة) سنتحدث عنه لاحقا.

وأحسب أن فكرة الأصل والفرع التي أوجد أرضيتها ابن قتيبة، هي الفكرة التي شيّد بناءها ابن فارس(٣٩٥هـ) في مقاييسه، لكن ابن فارس أغفل الإشارة إلى ابن

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٢) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٣) كما يسميه تمام، ينظر: مقالات في اللغة والأدب ٧٦

(٤) ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن ٢٨

(٥) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٤٦٧

قتيبة، ولم يذكره ضمن مصادره، مع أنّه انتفع منه، ونقل عنه أربع عشرة مادة لغوية بنصها كما ذكر ذلك عبد الله الجبوري[1]، و أحسب أنّ انتفاع ابن فارس بالفكرة التي بنى عليها مقاييسه هي أكبر من تلك النقول التي ذُكِرتْ، وأما العلة في إغفال ابن قتيبة وتراثه لدى ابن فارس، فهو إغفال ـ في نظرنا ـ متعمد، بدافع النقمة على ابن قتيبة؛ لما نسب إليه من روايات منكرة، وضعت من قدره لدى بعض العلماء، ومن بينهم ابن فارس؛ وذلك واضح جليّ في قول ابن فارس في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه: «وكان عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول في هذا الباب: من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله جلّ ثناؤه: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات ١٠).. وأشباه ذلك.

قال أحمد بن فارس: وهذا وان أشبه ما تقدم ذكره فانه لا يجوز لأحد أنّ يطلق فيما ذكره الله جلّ ثناؤه، أنّه دعاء لا يراد به الوقوع، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد؛ لأنهم قُتِلوا وأُهلِكوا وقوتلوا ولُعِنوا.. و(ابن قتيبة) يطلق إطلاقات منكرة، ويروي أشياء شنيعة، كالذي رواه عن الشعبي أن أبا بكر وعمر وعليا توُفُّوا ولم يجمعوا القرآن. قال وقد: وروى شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت الشعبي يقول ويحلف بالله: لقد دخل (عليّ) حفرته وما حفظ القرآن ..»[2].

وفكرة محاولة ربط المعاني المتعددة بمعنى عام (أصلي)، تتصل به تلك المعاني الفرعية اتصالا قويا، أو ضعيفا، بعيدا، أو قريبا، فكرة لا تعدو أن تكون ـ كما يرى أحد الباحثين ـ[3] مظهراً من مظاهر كثرة الاستعمال أدى إلى شيوع ذلك الأصل؛

(١) ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق د. عبد الله الجبوري (العراق، بغداد، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي ط١، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م) ٥٢ (مقدمة المحقق)

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي، ،تحقيق أحمد صقر القاهرة (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.) ٣٢٤ فما بعدها.

(٣) الطلحي، ردة الله بن ردة، دلالة السياق، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية ١٤٢٤هـ) ٨٧

غير أن الذي أرجحه هو أنّ شيوع ذلك الأصل، ما كان ليكون لولا أنّ جرثومة ذلك المعنى ملحوظة مدركة في المعنى الحسيّ لتلك الكلمة، وهو ما سوّغ قبول ذلك الأصل الشائع، فوضع الشيء غير موضعه ـ على سبيل المثال ـ سمة نلحظها في جميع المعاني الحسيّة لكلمة (الظلم) وهي : ظلم السقاء، وهو شربه قبل الإدراك، وظلم الجزور نحره لغير علّة، والأرض المظلومة التي حُفِر فيها ولم تكن موضع حفر، وهو ما عبر عنه ابن قتيبة وابن فارس بوضع الشيء غير موضعه[١]؛ لأنه في الأول وضع للشرب غير موضعه، وفي الثاني وضع للنحر غير موضعه، وفي الثالث وضع للحفر غير موضعه، وهذه هي السمة المشتركة بين المعاني الآنفة الذكر، والتي أسماها العلماء الأصل أو المعنى الأصلي .

ومثل ذلك يمكن قوله عن غيرها من الكلمات، وهو ما وفّق إليه ابن فارس في جلّ ما ذهب إليه في مقاييسه .

أما المعنى الفرعي فلا شك أن ما تنبه له ابن قتيبة من قدرة الكلمة عن التعبير عن أكثر من معنى فرعي (سياقي)، هو ما أقرته الدراسات الحديثة، ووصفه فندريس بالتأقلم، ويعني به قدرة الكلمة على اتخاذ دلالات متنوعة تبعا للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات[٢]، و التي يرى أنه مهما تعددت الاستعمالات وتنوعت فإنّ أحدها يطغى غالبا على ما سواه، وهو الذي يعين معنى الكلمة الأساسي[٣]، وهذه القدرة ـ عند أولمان ـ خاصة من الخواص الأساسية للكلام الإنساني، وان نظرة واحدة في أي

(١) ينظر: ابن قتيبة ،تفسير غريب القرآن ٢٨ .ابن فارس، مقاييس اللغة ، تحقيق د. عبد السلام هارون ، (مصر ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ) ٤٦٨ /٣

(٢) ينظر: فندريس، اللغة ، تعريب عبدا لحميد الدواخلى ومحمد القصاص (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية) ٢٥٣ فما بعدها بتصرف .

(٣) فندريس، اللغة ٢٥٤

معجم من معاجم اللغة لتعطينا فكرة عن كثرت ورود هذه الظاهرة[١]. وهي قدرة جعلت من خصائص معنى الكلمة في المعجم التعدد والاحتمال، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد، بسبب[٢]:

أولاً: ما في السياق من قرائن تعين على التحديد.

ثانياً: ارتباط كلّ سياق بمقام معيّن يحدد في ضوء القرائن الحالية.

المبحث الثاني: تطور الدلالة

اللّغة مرآة الحياة، والترجمان المعبّر عما فيها من وجوه النشاط الإنسانيّ؛ لذا فإن أيّ تطور يصيب النشاط الإنسانيّ يترك بصمته على اللغة. يقول أولمان: «اللغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدّمها قد يبدو بطيئا في بعض الأحايين: فالأصوات، والتراكيب، والعناصر النحويّة، وصيغ الكلمات ومعانيها، معرضة كلّها للتغيّر و للتّطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط، هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة...»[٣].

وتطور الدّلالة من الظواهر الشائعة في كلّ اللغات،لمسها الدارسون لمراحل نمو اللغات وأطوارها التأريخيّة، وعدّوا ذلك أمرا طبيعيا قلّما تنجو منه ألفاظ اللغة، وقد دعت إليه الضرورة المُلِحَة؛ ذلك أن الألفاظ لم توجد لتحبس في خزائن من البلور بل وجدت ليتبادلها الناس بينهم وهو تبادل يفضي ـ مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال ـ إلى الانحراف في الدلالة أو المعنى[٤] وقد لاقى السيمانتيك التأريخيّ

(١) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة) ١١٤.

(٢) ينظر: تمام، اللغة العربية معناها ومبناها ٣١٦

(٣) أولمان، دور الكلمة في اللغة ١٧٠

(٤) ينظر: أنيس، دلالة الألفاظ ١٣، ١٢٣

عناية اللغويين المحدثين فحاولوا حصر هذا الانحراف وتصنيفه على النحو التالي[١]:

أ- التقسيم المنطقي وأبرز مظاهره ما يلي:

١- تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى.

٢- تعميم الدلالة أو توسيع المعنى.

٣- تغيير مجال الاستعمال أو نقل المعنى (المجاز).

ب- التقسيم النفسي وأبرز مظاهره ما يلي:

١- المشابهة بين المدلولين.

٢- العلاقة بين المدلولين.

٣- المشابهة بين اللفظين.

٤- العلاقة بين اللفظين.

٥- اللامساس وحسن التعبير.

٦- انحطاط الدلالة أو هبوط المعنى.

٧- رقي الدلالة أو سمو المعنى.

وبالوقوف على مؤلفات ابن قتيبة يمكن القول بأنه سبق إلى الكشف عن أبرز مظاهر هذا الانحراف السابقة، وفيما يلي توضيح ذلك:

أولاً: تخصيص المعنى:

يعد هذا المظهر أبرز ما لفت نظر ابن قتيبة؛ ذلك أن ثمة ألفاظا كانت تدل على معان في لغة العرب، فلما جاء الإسلام اكتسبت تلك المعاني خصوصية شرعية، ومن هنا قسّم المعنى إلى: أصلي وهو ما تدل عليه الكلمة في لغة العرب، وإسلامي هو ما نزل به القرآن الكريم، أو جاء في الحديث النبويّ، وعن ذلك يقول: «وقال

(١) ينظر: أولمان، دور الكلمة في اللغة ١٩٠ فما بعدها. أنيس، دلالة الألفاظ ١٥٢. مختار، علم الدلالة ٢٣٧.

أبو محمد: أصل الصلاة: الدعاء، قال عزّ وجلّ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: من الآية١٠٣)؛ أي: أدع لهم. وقال تعالى: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ (التوبة: من الآية٩٩) أي: دعاؤه، فسميت الصلاة بذلك لأنهم كانوا يدعون فيها...»[١].

ومثل لفظ الصلاة ألفاظ كثيرة خُصِّصت بعد مجيء الإسلام ونزول القران، فأصبحت تدل على معان شرعية: كالشرك والجحد، والكفر، والظلم، والفسق، والزكاة... الخ[٢]، بل إن أثر الإسلام تجاوز ذلك إلى ابتكار ألفاظ لم تكن العرب تعرفها، حيث يقول عن بنية لفظ النفاق: «النفاق في اللغة مأخوذ من نافِقاء اليربوع وهو جُحْر من جِحَرَته يخرج منه إذا أُخِذ الجُحْر الذي دخل فيه. فيقال قد نفق ونافق، شبه بفعل اليربوع؛لأنه يدخل من باب ويخرج من باب. وكذلك المنافق يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج بالعقد...والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الإسلام تعرفه»[٣].

وإذا كان الجاحظ قد سبق ابن قتيبة إلى الإشارة إلى أثر الإسلام في اللغة[٤]، فانّ ابن قتيبة قد اهتدى إلى جعل المعاني اللغوية نبراسا يُهتدي بها إلى معرفة المعاني الجديدة؛ إذ ليست المعاني الجديدة إلا امتدادا لتلك المعاني اللغوية، وتطورا يدل على قدرة العربية على استيعاب كلّ ما هو جديد، لكنه استيعاب يمت إلى الأصل بسبب أدركه من أدركه وجهله من جهله، ويبدو ذلك واضحا جليا من

(١) ابن قتيبة، غريب الحديث ١/١٦٧

(٢) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ٢٧ فما بعدها.

(٣) ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر(بيروت ، لبنان ،دار الكتب العربية ، ١٣٩٨هـ) ٢٩

(٤) ينظر: الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر ، الحيوان ، تحقيق وشرح د.عبد السلام هارون (المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م) ١/٣٣٢

خلال وقوفنا على بعض الأمثلة التي ذكرها، والألفاظ التي أوّلها، وذلك نحو قوله:

الكفر في اللغة من قولك كفرت الشيء إذا غطيته، يقال لليل كافر؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ (الحديد: من الآية٢٠) يريد بالكفار الزراع. سماهم كفارا؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض كفروه أي: غطوه وستروه، فكأن الكافر ساتر للحق وساتر للنعم[١].

وأحسب أن ابن قتيبة في ربطه المعاني الشرعية بأصولها الاشتقاقية، قد مهد لمن جاء بعده الطريق في الربط بين تلك المعاني اللغوية، والشرعية، بل والاصطلاحية بوجه عام. ومن أبرز المتأثرين به في ذلك أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازيّ (ت ٣٢٢هـ) في كتابه الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، وأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه الصاحبي. فالأول ضمّن كتابه ما يقرب من أربع مائة كلمة من كلمات القرآن والحديث النبوي الشريف وغيرها، مما يتردد على السنة الفقهاء والعلماء والمؤلفين. وهو ما نص عليه المؤلف في مقدمته؛إذ يقول: «هذا كتاب فيه معاني أسماء، واشتقاقات ألفاظ، وعبارات عن كلمات عربية، يحتاج الفقهاء إلى معرفتها، ولا يستغني الأدباء عنها، وفي تعلّمها نفع كبير وزينة عظيمة لكل ذي دين ومرؤة.. وبدأنا فيه بفضل لغة العرب.. ثم ذكرنا معاني أسماء تذكر باللغة العربية مما هي في العالم ومما جاءت في الشريعة مثل: الأمر والخلق والقضاء...»[٢].

وفي أثناء هذا الكتاب يجد الدارس الكلمة من القرآن وقد بيّن المؤلف معناها الإسلامي في ضوء النص القرآني ثم المعنى اللغويّ كما ورد في معاجم اللغة[٣]،

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن٢٨

(٢) الرازي: أبو حاتم محمد بن إدريس، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، (مصر، دار الكتاب العربي ط٢، ١٩٥٧م) ١/٥٦ فما بعدها

(٣) عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن (الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ٣٩

وبالجملة فالكتاب امتاز كما يقول مازن المبارك باستيعاب بحث هذه الظاهرة وجمع ما تفرق منها عند غيره(١).

أمّا ابن فارس، فقد عقد لذلك بابا أسماه: باب الأسباب الإسلامية، يقول فيه: «كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلما جاء الله جلّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت. فعفى الآخر على الأول، وشغل القوم بعد المغاورات والتجارات... بتلاوة الكتاب العزيز... فكان مما جاء في الإسلام – ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق . وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمِّي المؤمن مؤمنا...فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع...»(٢).

ثانياً: تعميم المعنى:

تنبه ابن قتيبة لهذا المظهر من مظاهر التطور الدلالي وإن لم ينصص على ذلك صراحة، ومن أمثلته التي ذكرها:

أن الأصل في الناسك، الذابح لله عز وجل، وكان لا يَذبح لله القربان من بني إسرائيل إلا العّبّاد، وكانوا يُدعون نساكا لهذه العلة، ثم استعير الناسك لكل عابد وإنّ لم يذبح(٣).

والأصل في العقل بمعنى الدّية، أن الإبل كانت تُجمع وتُعقل بفناء ولي المقتول فسميّت الدية عقلا، ثمّ عمم ذلك ليشمل أنواع الدية وان كانت دراهم ودنانير(٤).

(١) مازن المبارك ،نحو وعي لغوي ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ط٢ ،١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) ١٠٥

(٢) ابن فارس، الصاحبي ٧٨ فما بعدها

(٣) ابن قتيبة، غريب الحديث ٥٦

(٤) ابن قتيبة، أدب الكاتب٦٣